جامعة أبوبكر بلقايـــــــــــــد تلمسان

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
الأستاذ عبدالناصر بوعلي
تخصص: لسانيات تطبيقية.
مقيـــــاس: نحوُ الاختلاف في المشرقِ العربيّ.

محاضرة لفائدة طلبة الماستر1.

العنـــــوان: عواملُ الخلاف النَّحوي بين البصريِّين والكوفيِّين

تعود عوامل الخلاف النّحوي بين البصريين والكوفيين إلى أسباب عديدة من أهمها:

أولاً/: الأسلوب والطريقة التي تتبعها المدرسة في السَّماع والقياس والتعليل، فمثلاً تحديد السّماع والقياس عند البصريين، بينما عكسه عند الكوفيين الذين توسعوا في السماع عن القبائل العربية، وتوسعوا في القياس حتى على القليل الشاذ، وقد توسع ذلك حتى شمل القراءات القرآنية، فالبصريون كان لهم موقف من بعض القراءات التي خالفت القاعدة النحوية عندهم، ثم شاع ذلك على بقية المدارس النحوية. وربما يعود ذلك إلى أنَّ البصرة بحكم موقعها الجغرافي على الخليج العربي جعل عملية الاختلاط بغير العرب عملية سهلة نتيجة الملاحة البحرية؛ وهذا بدوره جعل البصريين يتحرون الدقة في السماع اللغوي عن العرب بالإضافة إلى القياس على الكثرة المطردة
أما الكوفة فبحكم موقعها الجغرافي وهي في وسط العراق فكانت قليلة الاختلاط بغير العرب مما جعل الكوفيين يطمئنون إلى سلامة اللغة، ويضاف إلى ذلك أنَّ انشغال الكوفيين بالفقه جعلهم يطبقون ذلك على النحو فدعاهم إلى التوسع في السماع والقياس.

ثانيًا/: التنافس العلمي وإثبات الذات، وهذا أمر غرزي في جبلة الناس كلّ يحب

أن يجد لنفسه المكانة، والقدمة، سواء كان على مستوى المدرسة الواحدة أو على مستوى المدارس، وهذا أذكى شعلته بين المدرستين الخلفاء العباسيون الذين لعبوا دورًا هامًّا في تفضيل النحاة بعضهم على بعض، وتقريبهم منهم، بالإضافة إلى إجراء المناظرات بينهم مما جعل الخلاف يدب بينهم، فالعباسيون كانوا يميلون إلى الكوفيين، ويحاولون الانتصار لهم في المناظرات التي كانت تقام مع نحاة البصرة، وقد دونت المؤلفات الكثير من هذه المناظرات مثل ما دار بين الكسائي وسيبويه، وبين الكسائي والأصمعي، وبين المازني وابن السكيت، وبين المبرد وثعلب، ومن نحاة بغداد بين الزجاجي وابن كيسان. وقد أفرد السيوطي لذلك باباً في كتابه (الأشباه والنظائر) سمَّاه (فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات)]، كما ألف الزجاجي كتاب أسماه (مجالس العلماء) تحدث فيه عن مجالس العلم والمناظرات بين النحاة.

.

ثالثًا/: إنَّ من الأسباب أيضاً العصبية الإقليمية فكل يريد القدمة لبلده، ومن الجدير بالقول: إنَّ الخلاف بين البصرة والكوفة يعود إلى الأحداث الأخيرة من زمن الخلافة الراشدة، حيث بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وتولي علي- كرم الله وجهه- الخلافة حدث ما حدث بين المسلمين نتيجة القلة المنافقة التي أشعلت نار الفتنة، وكان نتيجة ذلك أن حدث الخلاف بين البصرة والكوفة، فقد عرفت البصرة بأنها عثمانية الولاء، ويدلل على ذلك أنَّ عائشة رضي الله عنه، والزبير وطلحة رضي الله عنهما حين خرجوا من مكة توجهوا إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان، بينما توجه علي رضي الله عنه إلى الكوفة، وبعد ذلك كانت وقعة الجمل حيث تمت المواجهة بين علي والكوفيين، وعائشة والبصريين، فظاهر المواجهة بين البصرة والكوفة.

رابعًا/: الثَّقافة وطريقة التفكير، وتفصيل ذلك أنَّ حركة الترجمة عن اليونانيين والفرس نشطت مبكرة عند البصريين، ويدلل على ذلك ما قام به ماسر جويه، وابن المقفع من ترجمات، ويضاف إلى ذلك أنَّ فكرة الاعتزال التي ترتبط بالعقل والمنطق، وانعكاس ذلك على الدراسات كان له دوره عند البصريين، ويقابل ذلك الفكر الشيعي عند الكوفيين، والحقيقة أنَّ هذه التراكمات ظلت ترافق جميع النشاطات الأخرى.

أمَّا نتائج الخلاف فتلخصت بكثرة المؤلفات التي صنفت في مجال الدراسات النحوية، وكمال نضوجه، وظهور المدارس النحوية بهذه المسميات، إلا أنَّه حين قيل اختلاف الفقهاء رحمة ترى الدراسة أنَّ اختلاف النحاة نقمة على

النحو العربي الذي أدى إلى تضخم المؤلفات بعلل، وتقديرات وفلسفة عقلية كان النحو بغنى عنها كل الغنى، فعلى سبيل المثال المؤلفات التي صنفت في اختلاف البصريين، والكوفيين أكثر من أن تحصى، ومن أهمها (اختلاف النحويين) لثعلب، و(المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون)، و (المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين) لابن النحاس، و(الرد على ثعلب في اختلاف النحويين)، لابن درستويه، و(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) لابن الأنباري، و(التّبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) للعكبري، وغيرذلك.